مدن السودان الكبرى ، دراسة تاريخية دلالية معجمية

د/ كمال حامد عبدالله

د/ عبدالعزيز محمد موسي

جامعة بحري / السودان

Krkur66@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019\10\19	تاريخ القبول:2020\03\05	تاريخ النشر: 2020

مستخلص البحث:

تناول البحث موضوع مدن السودان الكبرى ، دراسة تاريخية دلالية معجمية ، فقد هدف البحث إلى عرض تاريخ نشأة بعض مدن السودان الكبرى والذي يعود الي القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين ، كما تطرّق إلى دلالة تلك الأسماء وأسباب تسميتها ، واتبعت الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي ، وقد خرج البحث بعدّة نتائج منها :

- ارتبط مدلول أكثر المدن السودانية بأحداث في تلك المناطق أو ببعض الظواهر الطبيعية .
- لا توجد علاقة بين الاسم ومدلوله من الناحية اللغوية إلا نادراً .
- اتسمت أكثر المدن السودانية بمدلول يعود إلى البيئة المحلية .

الكلمات المفتاحية : مدن ، تاريخية ، دلالية ، معجمية ، البيئة .

Abstract

The research dealt with the subject of major cities of Sudan, a semantic lexical historical study. The research aimed at presenting the history of the emergence of some major cities in Sudan, which dates back to the eighth and nineteenth centuries AD, as well as the significance of those names and

the reasons for their name. The study used the descriptive and historical method and came out with several results, including:

-The meaning of most Sudanese cities has been associated with events in these areas or some natural phenomena.

-There is rarely a relationship between the name of a city and its meaning linguistically.

-Most of the Sudanese cities have a meaning that is due to the local environment.

Key words :

Sudan . cities . historical . semantic lexic

. .

مدخل :

تعود نشأة العديد من المدن السودانية الي حقب تاريخية بعيدة ، ولكن معظمها يعود نشأتها الي القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين ، وكان أوّل تشريع لتعريف وتخطيط المدن السودانية بشكل رسمي في العام 1957م (تشريع نمرة 24 سنة 1957م) ، وحدّد هذا التشريع في ذلك الوقت أربع وثلاثين مدينة ضمنت ثلاث مدن، أصبحت الآن جزءا من دولة جنوب السودان منذ العام 2011م، وهي (جوبا عاصمة دولة جنوب السودان بالإضافة الي مدينة واو ومدينة ملكال)[1] . وتناول البحث مدن السودان الكبرى من حيث تاريخها ، بالإضافة الي موقعها الجغرافي في الخارطة الطبيعية السودانية ، لما ذلك من الأهمية بمكان ، ومن حيث دلالتها ومعانيها ، والدلالة من " الدلُّ قريب المعنى من الهدي ، ودللت بهذا الطريق عرفته ، ودله عليه دلالة ، دله ... سدده إليه) [2].

وفي الاصطلاح يعرفها الشريف الجرجاني (بأنّها كون الشيء بحال (يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول) [3]. وهو العلم الذي يدرس المعنى ، أو ذلك

الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز ، حتى يكون قادراً على حمل المعنى)[4]. وقد هدف البحث إلى دراسة مدلول أسماء تلك المدن وعلاقتها بالمعجم العربي وكذلك علاقتها بالعامية السودانية ، أما مشكلة الدراسة هنا فتتبين من خلال ، هل ثمة علاقة بين الاسم ومدلوله لغوياً ؟ وهل للبيئة أثر يذكر في دلالة تلك الأسماء ؟ .

وفيما يلي نماذج لدراسة بعض المدن الكبرى من حيث تاريخها ودلالتها .

الأُبيّض:

ليس هناك تاريخ محدّد لنشأتها ولكن كانت هناك مجموعة قرى قريبة من بعضها في منخفض ساعد على جمع المياه حولها ونمو الأشجار .[5] وسبب تسمية الأُبيّض يرجع إلى الرواية التي تقول بأنّه كانت هناك امرأة اسمها (غفورة) تسكن في المنخفض وكانت تملك حماراً أبيض، ولم تملك شيئاً تقتات به سوى إحسان المسافرين وعندما يقتربون منها يقولون (أبيض غفورة لا بلاد لا ممطورة) إشارة إلى فقر المنطقة وجدبها [6] . ونفس هذه الرواية في سبب تسمية المدينة وتسرد بطرق مختلفة، إذ أن سكان القرى المجاورة لمدينة الأُبيّض الحالية كانوا يتجولون بماشيتهم ودوابهم بحثاً عن الكلأ الذي ينبت في الفضاء الممتد حول هذه القرى وحول المستنقعات والمنخفضات التي يتجمع فيها الماء الآسن من بقايا موسم الأمطار، وكانت تسكن في إحدى هذه القرى إمرأة عجوز تمتلك حماراً أبيض تطلقه بحثاُ عن قوته وشربه في تلك المنطقة، وفي إحدى المرات طال غياب حمارها، وعند رجوعه لاحظت بأنّ أرجل حمارها ملطخة بالطين الممزوج بالعشب الأخضر وتبعت المرأة حمارها إلى أنّ وصل المنطقة التي كان بها ماء وتنبت على أطرافه الأشجار الكثيفة وعند رجوعها إلى قريتها أنبأت سكانها بما رأته، فرحل سكان القرية إلى ذلك الموقع الجديد وأقاموا فيه أكواخهم وكان مولد مدينة الأبيض الحالية التي أخذت اسمها من لون الحمار الأبيض ثم تبعهم بقية سكان القرى المجاورة وكانوا يقولون (نحن ذاهبون لنسكن في مورد الحمار الأبيض)[7] والأبيّض تصغير أبيض ، ويلاحظ تغيّر الدلالة من الخاص إلى العام . وهناك رواية أخرى تشير بأنّ اسم المدينة يرجع إلى اسم المجرى المائي الذي يقع جنوب المدينة المسمى بالخور الأبيض، إلّا أن الرواية الأولى أكثر تداولاً بين الناس [8]. كما تقع مدينة الأُبيّض على دائرة 011 / 013 شمالاً وخط الطول 014 / 030 شرقاً، ويصل ارتفاعها إلى 1900 قدم فوق مستوى سطح البحر[9]. وإنّ احتلال مدينة الأُبيّض لهذا الموقع المهم جعل منها مركزاً تتجمع فيه حاصلات المنطقة النقدية ومعظم ثروتها الحيوانية، كما كان ربطها بالسكك الحديدة في سنة 1912،

والذي كان يعتبر الخط الوحيد الممتد إلى غرب السودان، وتمثل الأُبيّض نهايته حتى 1958م قبل مده إلى نيالا، وكان للسكك الحديدية أثرها في ارتفاع أسهم مدينة الأُبيّض التي أصبحت المركز [10].

بورتسودان:

تعود تسمية مدينة بورتسودان إلي العام 1906م عندما اقترح السير ونجت Sir Wingate تسمية الميناء الجديد باسم Port Sudan و(ترجمتها من الإنجليزية إلي العربية ميناء السودان) وكان يطلق علي المنطقة مرسي الشيخ برغوث الذي اشتهر بكراماته وأدائه لفريضة الحج عابراً البحر الأحمر علي ظهر قارب صغير وعودته إلي نفس الموقع حيث مات ودفن. كما تقع مدينة بورتسودان بين خطي طول 13.27 وخطي طول 37.19.ويحدّها من الناحية الشرقية البحر الأحمر الذي يفصلها عن المملكة العربية السعودية ومن الشمال تحدها مصر وتبلغ مساحة بورتسودان حوالي 212.800 كيلو متر مربع.[11]

ويتمثل مناخ بورتسودان عبر السهل الساحلي ومنحدرات التلال الشرقية للبحر الأحمر وهو مناخ متميز بين المناخات الجافة ويتمثل هذا التميز في سقوط معظم أمطار السنة خلال فصل الشتاء حيث يكون البحر الأحمر ومسطحه المائي واتجاهات الرياح السائدة بالإضافة إلي وجود المرتفعات في الموقع المباشر لهذا السهل الساحلي أكبر الأثر في ذلك، ويمثل النمط نوع متوسط بين المناخ الجاف والجاف الرطب في السودان ويختلف عن نمط المناخ الجاف في القيمة الفعلية للمطر وسقوطه خلال شهور تنخفض فيها درجة الحرارة وبالتالي معدلات الفاقد بالبخر منه [12].كما تعتبر مدينة بورتسودان من أجمل المدن السودانية من الناحية السياحية علي امتداد الساحل حيث توجد المنتجعات السياحية ومن ناحية المناطق الأثرية المتناثرة في أرجاء المدينة ويوجد في المدينة مهرجان التسوق يقام سنوياً. كما تنتشر العديد من الجزر داخل مياه البحر الأحمر (جزيرة أم القروش شمال شرق بورتسودان ، جزيرة سنجنيب وهي جزيرة مرجانية بها فنار لإرشاد السفن في ميناء بورتسودان علي بعد حوالي 25 كلم شرق وتكثر بها الشعب المرجانية والأسماك [13].

الخرطوم:

اختلفت الآراء حول اسم الخرطوم ، وقد سبق إنشاء المدينة الاسم مما صعب معرفة مصدره، فقد ذكر قرانت واسيك المكتشفان لمنابع النيل أن الاسم مأخوذ من القرطم وهو نبات تكثر زراعته في مصر

وكان يستعمل زيته للإضاءة . [14] كما أشارت بعض المصادر أنّ الاسم في الأصل (خور التوم) ثم حُرِف إلى الخرطوم ، ويرى البعض خاصة أبناء دولة جنوب السودان أن اللفظ يعني في بعض اللغات النيلية (الشلك [15] والدينكا) [16] يعني المكان الذي تتلقى أو تتجمع عنده العيون أو الأنهر، لأنّ النيل الأبيض [17] والنيل الأزرق [18] يلتقيان فيه ويكونان النيل الكبير. وأشارت بعض المصادر بأنّ اللفظ يعود إلى أصل نوبي [19] نسبة الي قرب الموضع من عاصمة المملكة النوبية العليا [20] ، ما يعطي احتمالاً لوجود اسم عرف به في ذلك الزمان خاصة وجود قرية تحمل اسم الخرطوم في النوبة السفلي. [21]. أيضاً تشير بعض المصادر إلى أنّ أصل التسمية يرجع إلى شكل قطعة الأرض التي تقع عليها المدينة والتي يشقها نهري النيل(الأزرق والأبيض) ويلتقيان فيها مع بعضهما في شكل انحنائي يرسمان بينهما قطعة أرض أشبه بخرطوم الفيل، وفي اللغة ، (الخُرْطومُ الأَنف وقيل مُقَدَّمُ الأَنف ... والخَطْمُ الأَنف وقوله تعالى: (سَنَسِمُهُ على الخُرْطومِ) فَسَّرهُ ثعلب فقال يعني على الوجه قال ابن سيده وعندي أَنه الأَنف واستعاره للإنسان... والخُرْطُوم للفِيل وهو أَنفه ويقوم له مقام يده ومَقام عُنُقِهِ) [22] ، وقد رجح بعضهم أنّها من خرطوم الفيل لأن موقعها في ملتقى النيلين الأبيض والأزرق يشبه خرطوم الفيل والناس عادة يقولون خرتوم [23]. ويلاحظ أن هنالك علاقة بين لفظ الخرطوم ومدلوله اللغوي يتخلص في المشابهة .

ومهما يكن من أمر التسمية فإن تاريخ الخرطوم الولاية بوصفها منطقة بشرية يعود إلى عصور سحيقة، إذ استوطن الإنسان في موقع الخرطوم الحالي منذ 400 سنة قبل الميلاد، وقد تم العثور على أدوات تعود إلى العصر الحجري في منطقة خور أبي عنجة(الذي يقع في أم درمان)، إضافة إلى بقايا أثرية لمستوطنات يرجع تاريخها إلى عهد مملكتي نبتة ومروي في الفترة من 750ق.م. إلى 350 ب. م.، بينما تشير بعض المصادر بأنّ تاريخ الخرطوم الكبرى يعود للقرن السادس عشر الميلادي وأن المكان الذي تقوم عليه الخرطوم الآن كان عبارة عن أحراش وغابات، وكان يبعد عن مدينة سوبا عاصمة مملكة علوة المسيحية، حوالي 15 ميلاً، وفي القرن السادس عشر قام سكان جزيرة توتي التي تقع في مجري نهر النيل المقابل للمكان بزراعة المكان قبل أن يقيم فيه أحد فقهائها وهو الشيخ أرباب العقائد [24].

رغم تباين واختلاف الآراء حول تاريخ ميلاد عاصمة السودان، إلّا أنّ هناك اتفاق بأنّ من أسسها هم الأتراك الذين امتدوا إلى السودان من مصر في العام 1820م بواسطة جيوش محمد علي باشا وإلى مصر من قبل الإمبراطورية العثمانية.[25]

يطلق علي الخرطوم العاصمة المثلثة ، إذ أنها تتكون من ثلاث مدن أشبه بأضلاع المثلث (الخرطوم وبحري وأمدرمان) وكل مدينة من هذه المدن الثلاث قامت في ظروف تختلف عن ظروف المدينتين الأخريين ونمت في ظروف مغايرة ، إلا أن ظروفا أخري أيضا كانت تشد هذه المدن الي بعضها لتواجه مصيرا واحدا وتخلق روابط موحدة [26] . وتقع الخرطوم جغرافيا في وسط السودان ،بين خطي عرض (31.534.45 (درجة شمالا وخطي طول(15.8-16.45) درجة، إذ تبلغ مساحتها الكلية 22.736 كليو متر مربع ،أى ما يعادل 4،7 مليون فدان . وأهم مصادر المياه فيها ، نهر النيل ورافديه (النيل الأزرق والنيل الأبيض) إضافة الي المياه الجوفية ومياه الأمطار التي تهطل في فصل الصيف من شهر يونيو الي نهاية شهر سبتمبر .[27]

الدمازين:

كان يطلق عليها الأمازينق وهو يعني بلغة قبيلة البرتا إحدي قبائل المنطقة الفئران وذلك لكثرة الفئران في هذه المنطقة التي كانت عبارة عن غابة كثيفة [28]. وتقع مدينة الدمازين علي الضفة الغربية للنيل الأزرق ، وتتميز بموقع استراتيجي بالقرب من الحدود الأثيوبية، ما جعلها مؤهلة لإدارة الحدود المشتركة بين السودان وإثيوبيا في مجال التجارة ويلاحظ أيضاً أنها من المدن الحديثة التخطيط وطرقها الداخلية مسفلتة وبها خدمات النور والماء وبها خزان الروصيرص ومطار حديث وعدد كبير من المنازل الحكومية [29] . وأيضاً تتميز الدمازين بثروات طبيعية ضخمة متمثلة في وجود مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وذات منسوب عال من الأمطار، ومن ناحية المناخ؛ تقع في منطقة السافنا الغنية علي سفوح الهضبة الإثيوبية، حيث الصيف المعتدل؛ تتراوح متوسط درجة الحرارة السنوية حوالي 27 درجة مئوية وتستمر الأمطار في التساقط خلال الفترة من مارس وحتى نوفمبر بمعدل سنوي يبلغ 691 مليمتر وتصل الأمطار أعلي معدل في شهر يوليو 182 مليمتراً، وتم تشييد خزان الروصيرص في سنة 1959م [30].

دنقلا:

دنقلا وتكتب أحياناً دنقلة بضم الدال، ذُكِرت في تاج العروس [31] بأنها إحدى مدائن الزنج غربي بحر اليمن وهي مقر سلطان النوبة. وتعني دنقلا باللغة النوبية الطوب الأحمر، وكانت مباني دنقلا الواقعة في شمال السودان تُبنى بالطوب الأحمر ، ولذلك أُطلق عليها هذا الاسم. وأيضاً هناك تفسيرات متعددة لهذا الاسم جميعها يرجع إلى اللغة النوبية منها (لا مكان بلا مال وقلب الدار).

ودنقل الفعل بوزن(فعلل) ، تعني وضع الأعلى موضع الأسفل في العامية السودانية ، قال الكباشي : ولبسك دنقلوا فوق السمح قلبو، أي حملوه على الحصان بعد موت صاحبه [32]. إذ تقع دنقلا بين خطي طول 030 و 028 وخطي عرض 019 و 010 وعلى ارتفاع 227 م فوق مستوى سطح البحر في شمال السودان غربي مجرى النيل على 530 كلم شمال العاصمة الخرطوم. وهذه المنطقة من المناطق التاريخية في السودان، إذ قامت فيها مملكة المقرة المسيحية وعاصمتها دنقلا العجوز التي تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد 105 كلم جنوب دنقلا الحالية. تحتوي دنقلا على آثار تلك المملكة المسيحية القديمة بالإضافة إلى آثار أول مسجد بُني في السودان . [33]

سنار:

نشأت سنار بوصفها مدينة صغيرة مع قيام خزان سنار، بعد أن كانت قرية صغيرة في ضفاف النيل الأزرق بالقرب من موقع الخزان الحالي، ثم اتسعت وكبرت نسبة لتطور المنطقة اقتصادياً وإدارياً وباعتبارها ملتقى طرق السكك الحديدية والطرق البرية، وقد أضاف خزان سنار أهمية كبيرة لسنار نسبة لأن جسر الخزان قد أصبح الموقع الوحيد ما بين الخرطوم وبحيرة تانا ويمكن عبور النيل عليه بواسطة وسائل المواصلات البرية من قطارات وعربات ودواب، ومنذ قيام مدينة سنار في الربع الأول من القرن الماضي، ثم تطورها في منتصف القرن أصبح عدد سكان المدينة يتزايد [34] . كما يعود سبب التسمية الي جارية اسمها سنار تقطن في هذه المنطقة وبها سميت هذه المنطقة ، و(السَّنَرُ ضِيقُ الخُلُقِ والسُّنَّارُ والسِّنَّوْرُ الهِرُّ مشتق منه وجمعه السَّنَانِيرُ والسِّنَّوْرُ أَصل الذَّنَبِ عن الزِّياشِي والسِّنَّوْرُ فَقَارَةُ عُنُقِ البعير قال بَيْنَ مَقَذَّيْهِ إِلى سِنَّوْرِهِ ابن الأَعرابي السنانير عظام حلوق الإبل واحدها سِنَّورٌ والسنانير رؤساء كل قبيلة الواحد سِنَّوْرٌ والسِّنَّوْرُ السَّيِّدُ والسَّنَوَّرُ جُمْلَةُ السلاح وخص بعضهم به الدروع) [35] ولا توجد إشارة لهذا المعنى لسنار (المدينة) ، ما يرجح تلك الرواية التي تقول بأنها مركبة من كلمتي سن النار، أو من الكلمتين النوبيتين : إسي (ماء) وآرتي (جزيرة) والنون للإضافة ، فهي أسينارتي أي جزيرة الماء [36]. وتقع مدينة سنار على دائرة العرض 013 – 033 شمالاً وخط الطول 038 – 033 شرقاً، وهي

على ارتفاع 437 متراً فوق مستوى سطح البحر، وتبعد عن الخرطوم العاصمة حوالي280 كلم[37]، وتعتبر سنار من المدن الغنية بالموارد المائية المتنوعة (الأنهار ومياه الأمطار والمياه الجوفية) إذ تكسوها الصخور النوبية التي تتميز بحفظ المياه الجوفية[38] ، وتتميز هذه المدينة بأنها ملتقى طرق برية، إذ ترتبط بمدن وقرى السودان الأخرى بشبكة مواصلات برية وطرق مسفلتة.

سواكن: تعددت الآراء حول أصل اسم سواكن Sowakin:

1-تعريب للفظ البجاوي Isuk ويعني السوق [39]، ونرى أن الصحيح كتابتها (Osuk) ؛ لأن (O) في لغة البجا تعادل (ال) في اللغة العربية مثل أعلامهم : أُوهاج ، أي (الحاج) وأُونور ، (النور) ، إذن أوسوق بمعنى السوق .

2-تحريف لكلمة (سجن) الغربية إذ تشير الروايات بأنها كانت سجناً للجن في عهد النبي سليمان عليه السلام . ويكمن موافقة تلك الرواية ، خاصة إذا استصحبنا رواية قلب الجيم كافاً في بعض لهجات اليمن فيقولون بدل جمل ، كمل ، وفي اللهجة الخليجية تقلب كاف المخاطب المؤنث شينا أو جيما مثلثة (چ) [40] ، ولا شك أن هذا الميناء (سواكن) ، كان معبراً للعرب لدخول السودان.

3-كلمة سواكن في الأصل هندية وتعني المدينة البيضاء أو مدينة الأمان أو بر السلامة، لأنها أول ميناء تصل إليه السفن من الشرق الأقصى.

وسواكن مدينة ذات جذور تاريخية وتقع علي نهاية خليج ضيق يبلغ طوله اثني عشر ميلاً وعرضه ميلان ، وفي نهاية الخليج عدد من الجزائر شيدت المدينة نفسها علي واحدة منها ويفصلها من ناحية الشاطئ القائمة علي ساحل القارة لسان من البحر عرضه خمسمائة ياردة ويقع الميناء علي الجانب الشرقي من المدينة وكانت السفن الكبيرة لا تستطيع الرس فيها. والتربة رملية لا ينبت فيها غير شجيرات صغيرة والمدينة في ذلك الوقت مبنية علي نظام جدة، والبيوت من طابق أو طابقين وهي مشيدة من قوالب من عرق اللؤلؤ أنيقة المظهر ولكن أكثرها تقادم عليه السنوات وأدركه البلى[41]. وتقع سواكن بين خط عرض شمالي 19 درجة و7 دقائق وبين خط طول شرقاً 37 درجة و20 دقيقة، تبعد عن ميناء مصوع حوالي 285 ميلاً وعن مدينة جدة حوالي 200 ميل، ومناخ المدينة حار في الصيف رطب في الشتاء ويطل عليها من بعيد جبال سنكات وأركويت التي تعلو حوالي 4000 قدم عن سطح البحر وسواكن مدينة تجارية قديمة تربط السودان بالحجاز والهند ومصر[42] .

الفاشر:

تقع مدينة الفاشر في غرب السودان خط عرض 13،5 وخط طول 25،5 وعلى ارتفاع 23،95 قدماً فوق سطح البحر ، نمت الفاشر حول الفولة التي تنتهي عند خور حلوف، ومن أهم الظواهر الطبوغرافية كثرة الكثبان الرملية بالمدينة وكثرة المنحدرات والمرتفعات، والفولة (منطقة تتجمع فيها مياه الأمطار) والنقعة التي تلاصقها يكونان أقل المناطق ارتفاعاً، إذ تنحدر من حولها المدينة، ويعود السبب في قيام مدينة الفاشر في هذا الموقع إلى وجود الفولة، إذ يتجمع الأهالي حولها لحاجتهم للماء لهم ولحيواناتهم، يوجد بها قصر السلطان علي دينار آخر سلاطين مملكة الفور، الذي شيده في القرن التاسع عشر الميلادي[43]. وحول تسمية ومدلول كلمة الفاشر بكسر الشين، فإن هناك عدة تفسيرات ومعان، ففي لغة التبو والقرعان(لغة محلية) تعني الفناء الكائن ، إلّا أنها مع مرور الزمن أصبحت تعني قصر السلطان وملحقاته، ثم تطور مدلولها فأصبحت تعني عاصمة السلطان مطلقاً، ثم أصبحت عاصمة سلطنة الفور وذلك في العام 1792م، والآن هي عاصمة ولاية شمال دارفور،(فشر، وفشر: هذى، ثرثر، هذر، بقبق. جخف، تشدق، نفخ، تبجح ، حرث، كرب، فلح) [44] ، ويلاحظ عدم وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله هنا ، لكن ما يجدر ذكره هنا هو التطور الدلالي الذي اعترى اسم الفاشر .كما مر. من معنى خاص إلى عام ، ثم إلى معنى خاص مرة أخرى وهذا ما استقر عليه إلى الآن . قد اختطها السلطان عبد الرحمن الرشيد حول بحيرة تندلتي، ويقال أيضاً أن كلمة فاشر كانت اسماً لثور ضاع من صاحبه فوجده باركاً في موقع المدينة الحالي، فسميت المنطقة باسم ذلك الثور، بينما تشير الرواية الثالثة إلى أن الكلمة كانت اسماً للوادي الذي أُقيمت على شاطئيه المدينة، وتعني الوادي الفاخر، ومن الملاحظ وجود مدن أخرى تحمل نفس الاسم مثل مدينة الفاشر الموجودة على نهر عطبرة، وهناك مدينة قديمة تُسمّى فشار على بعد 20 ميلاً شرق الفاشر[45]. كما تقوم مدينة الفاشر على تلين مرتفعين من الرمال شمالاً وجنوباً، ويرتفع نحو 2350 قدمً فوق مستوى سطح البحر، يتوسطها مجرى وادي منخفض [46] .

تقع مدينة الفاشر في أرض صحراوية وشبه صحراوية تتخللها تلال منخفضة وكثبان (قيزان) وتلال ذات صخور رملية وأودية وخيران تمتلئ بمياه الأمطار خلال موسم الخريف في فصل الصيف.[47] ويصل فصل الخريف ذروته في مدينة الفاشر ما بين شهري يوليو وأغسطس، بينما نجد أن درجات الحرارة ترتفع خلال شهري إبريل ويونيو[48] .

القضارف :

يعود اسم القضارف إلي عبارة كان يطلقها المنظمون للسوق الذي كان يقام في هذه المنطقة خلال الأسبوع، وما إن تغرب الشمس ينادي بعضهم (اللي قضى يرف) أي الذي قضي أموره في السوق يغادر أو يخرج من السوق، ثم حرفت أو اختصرت الكلمة إلي القضارف الذي صارت تحمل اسم هذه المدينة [49] . والبعض يشير بأنّ أصول التسمية يعود إلي التلال التي تحيط بالمنطقة وتعرف بالغضاريف ومفردها غضروف وأيضاً عرفت المنطقة باسم غضروف سعد، نسبة لتاجر قبطي يقال بأنّه أوّل من فتح متجراً في هذه المنطقة ، إلا أنّ هذا التفسير يعيبه أمران . على رأي بعض المحدثين :

- الأول هو أن التلال المقصودة بعيدة عن مكان القضارف الحالية، وأن تسمية الغضاريف يفترض أن يكون اسماً للتلال وليس للمكان الذي تحيط التلال بجهته الشرقية.
- والرأي الثاني هو أن التسمية هي القضارف (بالقاف) وليس الغضارف (بحرف الغين) وشتان ما بينهما. والغضروف في علم التشريح باللغة العربية هو أحد فقرات العمود الفقري وهو أيضاً في الدارجة السودانية غضروف وليس قضروف وجمعه غضاريف وليس قضاريف أو قضارف.

ولنا رأي حول الأمرين السابقين ، أما الأول ، (وأن تسمية الغضاريف يفترض أن يكون اسماً للتلال وليس للمكان الذي تحيط التلال) ، فلا يستبعد أن يكون اسماً للتلال ثم تطور المدلول متسعاً ليشمل المكان ، وأما قوله (أنّ التسمية هي القضارف (بالقاف) وليس الغضارف (بحرف الغين) ، فهذا أيضاً جائز ، أنّ اللهجة السودانية تؤيد ذلك ، أي بقلب القاف غيناً وهذا كثير جداً .كما تقع القضارف بين خط الطول 34.35 وخط العرض 2.14 وحوالي 608 متر فوق سطح البحر[50] ومن أهم مصادر المياه نجد ، نهر الرهد الذي ينبع من جبال الحبشة علي مسافة عشرين كيلو متر شمال غرب بحيرة تانا ومنبعه بالقرب من منبع نهر الدندر والعطبراوي، والرهد نهر موسمي يفيض أربعة أشهر في العام حيث يبلغ ذروته في شهر سبتمبر وتقدر المساحة التي تتجمع فيها مياه الرهد بحوالي ثمانية آلاف كيلو متر، أما حجم فيضانه فيبلغ ألف ومائة مليون متر مكعب أو ملياراً .

كسلا:

يطلق اسم كسلا علي واحدة من أكبر مدن السودان ، حيث يرى بعض المحدثين أنّ معني اسم كسلا في اللغات الكوشية القديمة مكون من الآتي : كا تعني مكان ، سي تعني ماء، ائيل تعني رب كاسئيل كانت هكذا قديما وتعني. مكان ماء الرب. وربما يكون هذا اشارة لماء توتيل الذي تشتهر به المدينة [51] ، وهنالك تفسير آخر؛ معتمداً على لغة بني عامر (وهي لغة ذات أصول يمنية قديمة) وهم من سكان كسلا الأقدمين ، إذ يقولون : إن أصل اسم كسلا (كساي الا) وتعني الظل الوريف [52] ولا نستبعد هذا الرأي، لأنّ المدينة كثيرة الأشجار ، حتى عرفت لدى الغالبية من السودانين بكسلا الخضراء ، واسم كسلا في الأصل يعود إلي جبل كسلا أهم المعالم الطوبغرافية المهمة في المنطقة، نشأت المدينة علي دلتا نهر القاش وشكلت في البداية من ثلاث مناطق، أكبرها غرب القاش حيث يقطن قبائل الهوسا وبعض قبائل غرب السودان والختمية وهي المنطقة التي استقر بها آل الميرغني وتقع علي سفح جبل كسلا ويوجد بها مسجد وقبة السيد الحسن الميرغني وأيضاً نجد منطقة كسلا وقد سكنها الحلنقة وبنو عامر وعدد من الأجناس تعود أصولهم إلي أتراك ومصريين وصوماليين وإرتريين ويونانيين وهنود وإيطاليين وبعض القبائل السودانية الأخرى[53] . وتقع كسلا علي ارتفاع 493 ألف متر فوق سطح البحر وتبعد عن الخرطوم حوالي 300 متر مربع عبر أرض البطانة في الحدود السودانية الإرترية. ومن أكبر الظواهر الطبيعية (جبل كسلا) وجبل مكرام شرقي القاش وعلي البعد خلف تلك الجبال تمتد الجبال الإرترية[54]. كما تقع مدينة كسلا علي دائرة العرض 28 ، 15 درجة شمالاً وخط الطول 24 ، 36 درجة شرقاً[55]. ويتميز مناخ كسلا بصفة عامة بأنه معتدل وخلال يونيو – أكتوبر يفيض نهر القاش مخترقاً مدينة كسلا شمالاً لتنشر المياه المحملة الطمي علي السهول وتسمي بدلتا القاش وهي تربة طينية وخصبة وبينما بقية أشهر السنة يبقي نهر القاش جافاً[56]، ويقسم مجري القاش مدينة كسلا إلي جزئين:كسلا شرق القاش وكسلا غرب القاش. ويسمي القاش نهر مراب أو مارب وينحدر من أعالي المرتفعات الواقعة أقصي الجنوب من دولة إرتيريا بمقاطعة التجراي وأطلق عليه قديماً نهر الدجب.[57] كما تتنوع مصادر المياه في مدينة كسلا، الأنهار الموسمية، الأمطار ، الآبار الجوفية. فبذلك تعتبر مدينة كسلا مدينة سياحية من الدرجة الأولي وذلك من خلال امتلاكها لوضع طبيعي جميل وخلاب متمثل في التلال والجبال ونهر القاش ، كما يوجد بها المراكز الدينية الخاصة بالطريقة الميرغنية التي تحتوي علي الخلاوى والقباب[58] .

كوستي:

ارتبط اسم مدينة كوستي منذ نشأتها باسم زينوبة المنشاويه وهي سيدة مصرية هاجرت من مدينة المينيا المصرية تعمل بالتجارة وصناعة المراكب في منطقة شرق النيل الأبيض بين ربك والجزيرة أبا، فأعطت المنطقة اسمها، فعرف مكان عملها زينوبة وفي نفس الوقت انتقل إلي غرب زينوبة تاجر إغريقي اسمه كوستي عام 1900م واشتري قطعة أرض في المنطقة مساحتها ألف فدان من المواطن حماد ، فأقام له عملاً تجارياً مخالفاً وكانت التجارة الرائدة هي تجارة الصمغ والحبوب فأطلق بعض الأهالي علي المكان اسم كوستي، كما أصبح مكان الخواجة كوستي مرفأ ملائماً لرسو البواخر، وكانت هذه المنطقة تتبع من ناحية إدارية إلي مركز إدارة في قرية (جديد) البعيدة علي النيل الأبيض فقامت السلطات الرسمية بنقل مدينة كوستي عام 1904م، وأطلق عليها اسم غرب زينوبة وحظرت السلطات إطلاق اسم كوستي عليه ولكن رغم ذلك سار اسم كوستي علي ألسنة الجماهير وثبت الاسم الجماهيري واختفت بقية الأسماء[59] ، وبهذا نلحظ تطور الدلالة من الخاص إلى العام . وتقع مدينة كوستي جغرافياً علي الضفة الغربية للنيل الأبيض وتحدها من الشمال مدينة الدويم ومن الجنوب دولة جنوب السودان ومن الغرب مدينة تندلتي [60]، كما تقع في دائرة عرض 15 – 13 درجة شمال، وخط طول 34 – 40 درجه شرقاً وتقدر مساحتها بحوالي 800 كيلومتر مربع.[61]

ومدينة كوستي عبارة عن ميناء نهري داخلي عظيم وملتقي طرق مواصلات تربط شمال السودان بجنوبه عبر البواخر النيلية، وتربط الشرق بالغرب بالقطارات والسكك الحديدية وبالعربات واللواري والشاحنات والبصات السفرية [62] ومصادر المياه فيها ،مياه النيل والآبار الإرتوازية والأمطار .[63]

نيالا:

يعود أصل تسمية نيالا إلى لغة قبيلة الداجو، ويتكون من مقطعين (نا – لا Na la)، ويعني بلغة الداجو مكان المسرح، مما قد يعني أن المنطقة التي كانت نواة للمدينة كانت تقام فيها الألعاب والغناء والرقص وقرع الطبول والفلكلور[64]. كما ظهرت نيالا بوصفها مدينة بشكل واضح في القرن الخامس عشر الميلادي، عندما اتخذها حكام مملكة الداجو مقراً لهم[65] . إذ تقع نيالا إلى الجنوب من مدينة الفاشر، على ارتفاع 200 قدم فوق سطح البحر، يحدها من الشرق جبل نيالا، ومن الغرب والشمال أرض منخفضة وصخرية، أما جنوب الوادي فالأراضي فيه مسطحة تقريباً وهو الاتجاه الوحيد لامتداده[66]. وتمثل المياه الجوفية والأمطار المصدر الرئيسي للمياه في نيالا، إذ تجري عدة أودية موسمية أهمها من ناحية المياه الجوفية وادي نيالا، وادي بليل، وادي كايا[67] .

ودمدني:

نشأت المدينة بوصفها قرية صغيرة يعتمد سكانها علي الزراعة، لأن طبيعة الأرض والمناخ أديا إلى قيام الزراعة في القوس النهري الممتد من أبي حراز شمالاً حتى جزيرة الفيل جنوباً. وترجع تسمية المدينة إلى مؤسسها الأول الشيخ محمد مدني السني بن القاضي دشين قاضى العدالة في مملكة سنار، الذي كان عالماً في أمور الدنيا وتعاليم الدين الإسلامي. واستقر فيما يسمى حالياً حي المدنيين، النواة الأولى للمدينة، في تاريخ غير محدد. كانت ومدني مركزاً مهماً لجيش السلطان العثماني (1820-1885م)، واختيرت مدني رئاسة لمديرية النيل الأزرق في سنة 1902م.[68] كما تقع مدينة ودمدني على الضفة الغربية للنيل الأزرق قبل التقائه برافده الرهد في شمال المدينة، على دائرة عرض 14 °14^{0}شمالاً، وخط طول 31°33°شرقاً، وترتفع المدينة بنحو 411م فوق مستوى سطح البحر. وتصنف المدينة الثانية في السودان بعد الخرطوم من الناحية الثقافية والحضارية والتعليمية ، وهي ملتقى طرق في وسط السودان[69].

من خلال هذا البحث نلاحظ أن المدن السودانية نشأت في بدايتها قري صغيرة ثم تطّورت لاحقا عدا مدينة الخرطوم التي خططها الأتراك العثمانيين لتكون عاصمة للدولة السودانية التي سيطروا عليها خلال الفترة من 1820 الي 1885م بواسطة محمد علي باشا والي مصر .وأيضا ظهرت مدينة بورتسودان والتي خططها البريطانيون في عام 1909م بوصفها ميناء للسودان بدلا من سواكن باعتبارها مدينة حديثة نسبياً . ومن أهم النتائج التي توصل لها البحث ما يأتي :

- ارتبط مدلول أكثر المدن السودانية بأحداث في تلك المناطق أو ببعض الظواهر الطبيعية .
- لا توجد علاقة بين الاسم ومدلوله من الناحية اللغوية إلا نادراً
- اتسمت أكثر المدن السودانية بمدلول يعود إلى البيئة المحلية .

الهوامش :

1 . تخطيط المدن 15/4/3 دار الوثائق السودانية.
www.sudapedia.sd

2 . ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ، (د . ت) مادة (دلل) .

3 . الجرجاني ، الشريف ، التعريفات، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، ط 2006 ،1 ، ص: 97 .

4 . عمر ، أحمد مختار: علم الدلالة ، عالم الكتب ، مصر ، ص ١١ .

5 . تخطيط المدن ، مصدر سابق ، 15/4/3 .

6 . السابق ، نفس الصفحة .

7 . السابق ، نفس الصفحة.

8 . الحسن ، سيد أحمد محمد ، مدرسة الأبيض، دراسة في جغرافية المدن، جامعة عين الشمس، ماجستير، ص 11.

9 / عبدالله علي حامد العبادي، أنماط نماذج المدن الكبرى في السودان، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1975م ، ص 10.

10 / سيد أحمد محمد الحسن، مرجع سابق، 9-10.

11 / عادل عباس أحمد، بورتسودان ،دراسة جغرافية المدن، ماجستير، جامعة القاهرة 1978، ص 38.

12 / السابق ، ص 40.

13 / السابق ، ص 84.

14 / أبو سليم ، محمد إبراهيم ، تاريخ الخرطوم، دار الجيل وبيروت ، 1991م، ص 8.

15 / من القبائل النيلية في دولة جنوب السودان تقطن في منطقة أعالي النيل، لها نظام حكم على رأسه الملك وهو مقدس وحاضرتهم مدينة فشودة.

16 / من أكبر القبائل في افريقية موطنها دولة جنوب السودان تنشر في حوض بحر الغزال وأعالي النيل تقوم حياتها الاجتماعية والاقتصادية على تربية الأبقار.

17 / ينبع من بحيرة فكتوريا في يوغندا، يقطع مسافة طويلة عبر دولة جنوب السودان، حيث يلتقي بالنيل الأزرق في مدرسة الخرطوم مكوناً النيل الذي يخترق حدود مصر ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

18 / ينبع من الهضبة الاثيوبية يلتقي بالنيل الأبيض في الخرطوم.

19 / مجموعة أثنية تقطن في الحدود المصرية السودانية وتتكون من عدة مجموعات عرقية لها لغات محلية.

20 / قامت في شمال السودان في العصور الوسطى، اطلق عليها مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا.

21 / تقع على الجنوب من مملكة المقرة، عرفت بمملكة علوة وعاصمتها سوبا التي تقع في شرق النيل من العاصمة السودانية الخرطوم.

22 / ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة خرطم .

23 / قاسم ، عون الشريف ، قاموس اللهجة العامية في السودان ، الدار السودانية للكتب ط3 2002 ، ص 292 .

24 / عثمان ، محمد ، صفحات من تاريخ ومعالم مدينة الخرطوم، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 2013م، ص 22-23.
25 / أبو سليم، تاريخ الخرطوم ، مرجع سابق ، ص 9.
26 / تخطيط المدن، 9/12/7 مصدر سابق .
27 / السابق ، 31/6/2 .
28 / جمهورية السودان، لجنة إعادة تقسيم المديريات، 1974م، ص 358.
29 / السابق ، 359.
30 / السابق ، 371.
31 / الزبيدي ، محمد المرتضى، تاج العروس، ط 1، 1984م ، مادة دنقل .
32 / قاسم ، قاموس اللهجة العامية ، مرجع سابق ، ص 355 .
33 / تخطيط المدن ، مصدر سابق 5 /2/7 .
34 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، موسوعة تاريخ المدن السودانية، غير منشورة ، ص 53 .
35 / ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، مادة سنر .
36 / قاسم ، عون الشريف ، قاموس اللهجة ، عون ، 487 .
37 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، موسوعة تاريخ المدن السودانية ، مرجع سابق ، ص 53 .
38 / تخطيط المدن ، مصدر سابق ، 2/3/17 .
39 / عادل عباس أحمد، بورتسودان ،دراسة جغرافية المدن، ماجستير، جامعة القاهرة 1978، ص 38.
40 / forum.wordreference.com/threads
41 / جون لويس بوركهارت، رحلان بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد اندراوس، الهضبة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 2006م، ص 342.
42 / السابق ، ص 40.
43 / تخطيط المدن 12/2/6، مصدر سابق .
44 / رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، تحقيق ، محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد / 8 / 74 .
45 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، موسوعة تاريخ المدن السودانية، مرجع سابق ، ص 45 .
46 / تخطيط المدن 12/1/6 مصدر سابق.
47 / السابق نفس الصفحة .
48 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، مرجع سابق ، ص 77 .
49 / https://aalrashed.ahlamontada.com)
50 / https://ar.wikipedia.org
51 / www.sudaress.com)
52 / www.sudaress.com
53 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، مرجع سابق ، ص 83.
54 / Sudan notes and records volume v 1922 p 95

55 / تخطيط المدن، 14/4/3 ، مصدر سابق .

56 / ar.climate-data.org.

57 / تخطيط المدن 15/4/3 ، مصدر سابق .

58 / السابق ، 7/6/2

59 / السابق ، نفس الصفحة

60 / السابق ، نفس الصفحة .

61 / السابق ، نفس الصفحة .

62 / عبدالعزيز محمد موسى وآخرون، موسوعة تاريخ المدن السودانية ، مرجع سابق ، 67 .

63 / السابق ، نفس الصفحة.

64 / تخطيط المدن ، 12/1/6 ، مصدر سابق .

65 / المرجع السابق ، نفس الصفحة

66 / عبيدالله ، زايد محمد ، الفقر الريفي، وأثره على التدهور البيئي محلية نيالا، ولاية جنوب دارفور السودان، 1976 – 2006م، جامعة الخرطوم ماجستير 2008م، ص 58.

67 / إبراهيم ،أحمد حسن ، أسباب فتح محمد علي باشا السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1990م، ص 16.

68 / محمد ، عبدالناصر حسين ، مراكز العمران على النيل الأزرق بالسودان، جامعة القاهرة، ماجستير 1995م، ص 159.

69 / تخطيط المدن 5/6/2 ، مصدر سابق .